



البعرة تدلّ على البعير، والأثر يدلّ على المسير، والبوط يدلّ على انتصار الرئيس، والعياز بالله من شرّه وشرّ إبليس. وبما أن بلادنا المستقلة، المعاصرة، الحديثة، الفاضلة، تنسب لرؤسائها المنتخبين والمنتجبين، فإنَّ رموزها وعلاماتها وأياتها تدلّ على صاحب البلاد ومالك شعبها .

فإذا كان الرئيس يتحدث عن الفكة فهو عاشق للقرش. وإذا كانت أنصاب البلاد نعالاً عسكرية، فإن ذلك يوحي بأن صاحبها طنبوري. الحكاية، يا طويل العمر، وعالي الكعب، أنَّ الفنان دريد لحام تمنى أن يكون "صرمایة" الوطن في حوار "مع أمل"، فيما لو كان الوطن حافياً. والصرمایة، حسب موسوعة حلب المقارنة، لفظ تركي هو صيرمه، وتعني القصب، وكانت الألذية مزينةً بالقصب، أو لفظ فارسي هو "سرموزة"، ويعني فوق الحذاء. أشهر رمزيين سوريين حالياً هما الصرمایة والسيد الرئيس، فأنعم بهما وأكرم .

مجاز صرمایة الوطن في الجملة التي كتبت في مسرحية شقائق النعمان غريب ومرسل (من غير طوابع)، فليس في المجاز العقلي من علاقةٍ سببيةٍ، ولا فاعلية، ولا مفعولية، ولا زمانية، ولا مكانية، ولا مصدرية بينهما، والمجاز كتب تعبيراً عن التذلل لربِّ ووثن، هو الوطن، وليس كنائةً عن سير الوطن ومشيه، والمعنى في قلب القائل، والمسمار في كعب الصرمایة. ولا أستطيع أن أزدرد، بأسنان خيالي وأضراسه، المجاز في الوطن والصرمایة، وإن كان مفهوماً و"متجانساً" وشائعاً في "الخبر الحافي"، عنوان رواية محمد شكري، وتأويله أن تأكله وحده. كانت جملةً ردئةً من مسرحية قديمة خدعنا بها الفنان المخادع، وربما يمشي الوطن فقد رحل إلى روسيا وإيران .

وقد كان لحام فناناً في نصوص نهاد قلعي بالأسود والأبيض، وفي نصوص محمد الماغوط أفل نجمُه وشاخ. والآن هو فنان متلاحد في محراب عبادة الرئيس وفي حربه وفي "سر موته"، فالرئيس هو الوطن، وغالباً سيد الوطن. إشاعة الأمل لا تتم

بحصة تلفزيونية، ولا بحوار كوميدي متلاعنة مع مغنية سابقة، اسمها أمل أو رغدة. الأمل يشاع بالعدل، وبالشعب كله، حتى وإن كان حافياً وغير متاجنس .

ومن الغرائب أن إحدى أدوات القتل في سورية، غير البراميل والسارين والكهرباء والدولاب والرصاص غير المطاطي وعنقيد الحقد الفوسفورية، كانت الصرمافية التي تمنّاها دريد لحام، لما تمنّى، خيالاً مثل خيالي فأعيا، تشهد بذلك أفلام وشهادات أحرار أمثال منتهي الأطروح، ونظمي محمد، ومحمد عاشور الذي يروي في هذه الأيام، في برنامج "مراجعات" ذكرياتٍ قاسية في سجن تدمر، لم نسمع بمثلها سوى في محاكم التفتيش، وذكر أنَّ سجاناً كنيته أبو جورج قتل عفساً ورفساً خمسين معقلأً .

قيل إن عبارة "العقل السليم في الجسم السليم" خاطئة، وقيل إن الصواب هو "الجسم السليم في العقل السليم"، ولعل الصواب هو الإنسان العظيم في الوطن الكريم. وقد شهدت عشرات الشهادات التي قالت إنَّ غزارة البيوت السورية من الجيش الباسل المقدام كانوا يعجبون كيف يتورّ شعبٌ لديه برادات وغسالات، والتعيش دليل وبرهان على القول. ولو كان النظام يطلق على حملاته الحربية أسماء، كإسرائيل على غزواتها، وكانت أسماؤها: ذات الغسالات، ذات البرادات، ذات المراوح. وال الحرب كلها اسمها حرب ذات الصرمافية .

لا تُقاس الوطنية بالبقاء في وطن ذليل متوج بالصرامي، وقد تعلمنا أن الذل ينبد ولو كان في جنان الخلود، وأرض الله واسعة، ولو كان الخروج من الوطن خيانة، ما خرج الأنبياء من أوطانهم، محمد وموسى وعيسى ويونس وإبراهيم وآدم، عليهم السلام. خرج الشعب السوري من وطنه، لأن الصرمافية للقدم وليس للرأس .

خالف آدم النص الإلهي، فخرج من الجنة، وتلقى من ربِّه كلمةً فتاب عليه، إنه هو التواب الرحيم، وخالف دريد لحام وأمثاله من الممثلين كل النصوص التي مثّلوها، وأحبهم الناس فيها ومن أجلها، فخرجنا نحن من الوطن. هتف دريد لحام للحرية وللكرامة، وندَّ بالتعذيب، وكشف ألاعيب المخابرات باتهام المواطنين بقبض الدولارات، وسخر من المختار الذي زعم أن كرسيه هو الوطن. ثم دارت الأيام، فوجدناه يكرر ما قاله المختار في ضياعة تشرين ظهر كنبه ونفاقه .

البطولة الحقيقة غير بطولة التمثيل، وسجون "أبو البوط" غير قاوش أبو كلبسة وفنجانك يا وطن غير صرمaitk يا وطن.

المصادر:

العربي الجديد